

دور الأمثال الشعبية

في التحسيس بالأمن

الأستاذ بن مشرّن نور الدين، جامعة تلمسان

ونحن نتناول بالدراسة والتحليل دور الأمثال الشعبية في التحسيس بالأمن يجدر بنا أن نتوقف قليلا عند مدلول المصطلحين المثل والأمن. جاء في معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: والمثل عبارة عن قول من شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره نحو قولهم الصيف ضيعت اللبن، فإن هذا القول يشبه قولك أهملت وقت الإمكان أمرك⁽¹⁾. أما الأمن فجاء في المعجم: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان، وتارة لما يؤمن عليه الإنسان نحو قوله تعالى: (وتخونوا أماناتكم)⁽²⁾ (3). وعليه فمقصودنا بمصطلح الأمن في هذه الدراسة هو الأمن يحمل هذه الدلالة الأصلية المعجمية، شاملاً معها الاكتفاء المعيشي والاقتصادي والاستقرار الحياتي للمواطن، بحيث يشعر أن له ركائز ثابتة في مجتمعه تحفظ له وجوده وكيانه وتعلقه بأرضه ووطنه ودولته. فالاستقرار في حياة الفرد عامل ضروري وأساسي لحفظ توازنه العاطفي والنفسي والعقلي الذي يربطه بجذوره العائلية والثقافية والدينية وتقاليد الإنسانية، مع انفتاحه من موقع الوثائق بنفسه على الحضارات والثقافات الأخرى ليرى ما فيها من محاسن ومساوئ، فيأخذ بالحسن ويتعد عن السيء، متفادياً التحجر في المواقف، مبدياً من المرونة ما يجعله رجل زمانه يساهم ويصنع حاضره ومستقبله بيده، مؤدياً الأمانة لأقرانه وللأجيال الصاعدة.

ولا يخفى على أحد ما للأمثال الشعبية من أدوار إيجابية في شتى مجالات الحياة تقوم بها في كل الحضارات عبر الزمن، من اجتماعية واقتصادية وأخلاقية وتاريخية وسياسية وعلمية وتربوية. ولعل أهم دور وأخطره للأمثال الشعبية في الراهن هو تحسيس أفراد المجتمع بالأمن وأهمية هذه القيمة الخلقية في استقرار كل شيء في الحياة على قاعدتها. لذا كان من الواجب أن نبرز هذا الدور بوضوح، ويتمثل هذا أساساً في تناول بعض أمثالنا الشعبية بالدراسة والتحليل واستخلاص البعد الأمني الصريح من نص المثل.

ولكن قبل هذا يتعين علينا أن نوضح العوامل التي مكنت هذه الأمثال من لعب هذا الدور، فبنا إلى القول أنه ما من شك في أنه، إذا قلنا (أمننا) قلنا (قيما)، إذا اعتمد عليها المجتمع تمكن من ضبط شؤونه الحياتية، إذ تعرف: "القيم عادة بأنها مجموعة التصورات التي تدور حول المرغوب فيه وموضع استحسان داخل الجماعة..."⁴. وحتى يتسنى للأمثال الشعبية أن تكون رافدا من روافد الثقافة الأمنية، يتعين على الباحثين أن يتناولونها بالدراسة العلمية كي يميزوا بين ماهو بحق خادما للأمن وعملا على استسبابه في ربوع الوطن.⁵

وبعد تناولنا لمفهوم الأمن مع الإشارة إلى دور الأمثال الشعبية في استسبابه، نرى أنه من الفائدة العلمية أن نبسط الحديث للأمثال بالوصفة المحلية لقيمتها.

فالأمثال الشعبية هي ديوان المجتمعات تصور فيه التجارب والعادات والقيم والأخلاق بأنواعها وألوانها الاقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية والأمنية والتاريخية. فهي أشبه بالشعر ديوانا للعرب، فهي الموسوعة الحكيمة التي نرى فيها صورة المجتمعات والأمم الحقيقية في كل جانب من جوانب حياتها في الماضي والحاضر والمستقبل.

وهي موسوعة الحياة وسجل تاريخ وكتاب تراث فيه كل شيء ولا يمكن لمجتمع ما أن يستغني عن أمثاله الشعبية مهما كان الحال، لأنه يرى فيها شخصيته وكرامته وقوته وعزته وأصالته وتاريخه ومكانته بين مجتمعات العالم.

المتفحص في ذخيرة الأمثال الشعبية الجزائرية يجدها تحتوي على كنوز زاخرة وزاهرة تمس كل جوانب الحياة وميادينها. ولا غرابة فهي عصارة تجارب حياة المجتمع الجزائري عبر قرون متعاقبة وأزمنة متلاحقة. فهي إذن بمنزلة الحقائق العلمية التي لا تدع مجالاً للشك ولا منفذا للريب. وقد بما قالوا | : التجربة تسبق العلم. غير ان الشائع اليوم بين أفراد المجتمع الجزائري ذهنية الإهمال، أي إهمال الاهتمام بهذا الجزء المهم من التراث وإغفال معانيها (الأمثال الشعبية)، وفي حسابهم عدم جدواها في صناعة ثقافة المجتمع وترشيد سلوكه الاجتماعي والتربوي والأمني وكتابة تاريخه المجيد وغيره وكأنه المطلوب غير هذا. ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقط، أي بين أفراد المجتمع، بل امتدت عدوى اللاهتمام واللامبالاة واللارعاية إلى المنظومة التربوية الجزائرية، حيث لوحظ فيها الغياب الطويل والعريض والعميق لنصوص الأمثال الشعبية الجزائرية. والسؤال هنا هو: لماذا لا

يحصل إدراج نماذج منها مختارة في مفردات المنهاج التربوي في كافة مستويات التعليم بوطننا لترسيخ معاني الثقافة الأمنية أساسا وقاعدة، إذ من دون أمن لا نصنع شيئا في الحياة ولا نقدم رجلا فيها إلى الأمام. ولما كان للثقافة الأمنية هذا الثقل وهذا الوزن في استقرار حياة المجتمع، رأينا اختيار نماذج من الأمثال الشعبية الجزائرية ذات البعد التربوي الأمني للتعامل معها على منهج الوصف والتحليل والإسقاط على الواقع وقد وهي على المنوال التالي:

المثل الشعبي وصفا وتحليلا:

1- (لبرة تكسي غيرها وهي عريانة):⁶ هو مثل شعبي جزائري فيه معنى التضحية من اجل الغير وفيه معنى ايثار الغير على النفس. وكل من التضحية والإيثار هما خلقان كريمان ممدوحان من قمم الأخلاق الشريفة وكوئهما يقودان إلى ربط أواصر أفراد المجتمع فهما يدفعان إلى صناعة استقرار في الحياة وفي الوقت نفسه يعملان على إشاعة الامن في المجتمع وغرس خلقه الفضيل بين أفرادها في شتى أنواع العلاقات والاما ننتظر من غياب كل من التضحية والإيثار إلا التفكك والنزاع والصراع والعداوة التي تهدد أمن الأفراد واستقرار المجتمعات.

2- (بليس قال ما يغلبي غير اللي يشاور)⁷ وذلك لبيان أهمية المشورة في إنتاج سداد الرأي وصوابه المؤسس على المشورة طريق إلى تحقيق الأمن وتحصيل الاستقرار. وما هذه الفتن والنزاعات والصراعات والحروب واضطراب الأمن صنع الرأي المستبد الواحد المعادي للمشورة. فهو اذن مثل شعبي جزائري ذو بعد تربوي اميني.

3- (واحد عندي ولا عشرة عند الناس)⁸ يضرب هذا المثل في التحذير ضمينا من اقراض المال للغير الذي يقبض ولا يسدد لما يترتب عن ذلك من مشاكل ونزاعات وعداوات وصراعات وحروب تمز استقرار الفرد ومجتمعه وتذهب بأمن حياته. وفي التحذير هنا دعوة الى إشاعة خلق التربية الأمنية بين أفراد المجتمع الواحد. والمثل الشعبي هذا مفتوح في ضربه على كل المعاملات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية سواء أفرادا أو جماعات أو أمما وهكذا.

4- (واحد ما راح من واحد سالم)⁹ مثل شعبي يضرب في الاحتياط الغير من الإساءة للغير مع عدم استغراب إساءة الغير اليك ولو كنت محسنا إليهم إحسانا. ويقال المثل هذا في الصديقين والاخوين والجارين والقربين يغدر أحدهما بالآخر وفي الاحتياط بعد تربوي اميني يقود إلى إقرار

مصلحة الأمن والسلم بين الأفراد في العلاقات ويدفع مفسدة العداوة والصراع والنزاع بينهم وفي ذلك كله مقصد شريف وغاية نبيلة هي غرس خلق التربية الأمنية في أفراد المجتمعات في كل مستويات الحياة.

5- (خذ طريق العافية ولو دائرة وبنيت العم ولو بايرة)¹⁰ في هذا المثل الشعبي معنيان تربويان أمنيان الأول يحث على تجنب الأشياء التي لا يحمد عقباها ولو كلف تجنبه عناء زائدا وشاقا ويقال أيضا في الحث على الابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الخصومات والمنازعات والصراعات والفتن. مهما كان فالطريق الدائرة قد تكون اتعب لطولها لكنها هي أسلم وأمن عاقبة وهذا في حد ذاته سلوك أخلاقي ذو بعد تربوي أمني. والمعنى الثاني في المثل فيه تحبيب الزواج من القربة لأنها تكون مجرة على حفظ عرض زوجها وماله ونسبه الذي هو عرضها ومالها ونسبها. . . وفي ذلك مدعاة إلى تحقيق الأمن والسلم والتعايش الحسن والمعاشرة المعروفة بين أفراد الأسرة وعلى الرأس الزوج والزوجة، إذا هما أساس امن المجتمع واستقراره ويبدأ امن المجتمع عند علماء الانتروبولوجيا من امن الأسرة أساسا.

6- (خذ الرأي اللي يبكيك وما تخذش اللي يضحكك)¹¹ في المثل الشعبي هذا حث على الأخذ بالنصيحة الحسنة من الغير، ولو كانت مرة ومؤلمة ومبكية لأن فيها أمنه واستقراره. وفي المثل أيضا تحذير من الأخذ بنصيحة العدو والحلوة والمضحكة والطريفة التي تحبذ له عمله السيئ وتزينه لان فيها تهديدا لأمنه واستقراره وهي سبيل ميسر إلى تهلكنه في العاجل او الآجل.

والمثل يحمل بعدا تربويا أمنيا يسهل إسقاطه في الراهن على المنحرفين من الشباب والرجال والبنات والنساء والمبتلات بأمراض العصر من خمور وسفوف ومخدرات واختلاس أموال ورذائل وغيرها

7- (خوك خوك لا يغرك صاحب)¹² في هذا المثل الشعبي تحذير من معاداة الأخ الشقيق وتفضيل الصاحب عليه في الثقة والمعاملة لان ذلك يجر إلى عواقب غير محمودة ويكرس الزمن عليك لا أمتنا في حياتك بكثرة المشاكل والإضرار واصطناع الشرور. . . . الخ وكل هذا يصنع لك عدم الاستقرار في حياتك ليصبح الحذر والحيطه والخوف منهم صاحبك الذي لا يفارقك والتربية الأمنية تطلب تقرب الأخ الشقيق أو أحدا من الأقارب على الصاحب والصديق لان الأول يدوم والثاني يفارقك بعد ساعة أو يوم. مع لزوم الحيطه والفتنة في المعاملة مع القريب والبعيد علما أن

التجربة علمتنا أن هناك بعض الأقارب عقارب كما ان البعض الأقارب أطايب . وزيادة على هذا فان المثل الشعبي هذا يدعو إلى ربط أواصر المجتمع بدءا بأفراد الأسرة الواحدة وفي ذلك قوة وامن واستقرار.

8- (إذا ضربت اوجع)¹³ وهذا مثل شعبي جزائري يضرب في وجوب التعامل مع اللؤماء والسيئين من الناس بالغلظة التامة إذا تمردوا أو تهادوا في الأذى أو السوء لان الفرق بهم في هذه الحالة لا يفلح بل يزيد في طغيانهم ظنا منهم خوفكم منهم. وهذا ما يجعل دائرة الأمن بينكم وبينهم في اضطراب وتقلص وتبقى وكأنها فتيلة قنبلة سينفجر في أي لحظة من اللحظات فالتربية الأمنية توجب التعامل مع العدو العنيد بالغلظة لأنه بما يصل إلى إيقاف سوئه وأذاه فتأمن أنت والمجتمع من شره وفي ذلك الأمن والاستقرار. وقد جاء تأكيد هذا المعنى في القرآن الكريم لقوله تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)⁽¹⁴⁾.

9- (الجار قبل الدار)¹⁵ يضرب هذا المثل الشعبي في وجوب مدارسة المحيط والأرضية المرتبطة بالمشروع الذي تعزم بنائه فهي تسبق المقصود وذلك لضمان سلامة بنائه وأمنه بعد إنجازه. وليكن أي مشروع في حياة الإنسان. فقبل السفر وقبل الزواج لابد من حسن اختيار رفيق السفر وقبل اتخاذ أي قرار يخص الحياة لابد من مراعاة ظروفه كاملة وشاملة حتى لا ينقلب عليك فتحني منه شوكا ويتحول فرحك إلى حزن وندامة وينقلب الرفيق إلى خصيم مبين والجار إلى عار ودمار. وهو مثل شعبي قد يكون سببه ما حصل لإنسان اشترى بيتا أو بنى مسكنا ليقيم فيه ويسكن ولم تراع الظروف المحيطة بهذا البيت من جار إذا فوجئ بجار سوء أشبعه أذى ولم يتوقف فلما بلغ صبره حدا لا يطاق انفجر وخسر. والمعنى من المثل يصب عين خلق التربية الأمنية لان فيه حث على وجوب أخذ

الاحتياط. من ضرر قد يصاحبك طول حياتك إن لم تأخذ به وهو ضرر لا ينجو منه الحذر. والمثل أيضا يضرب في وجوب اختيار الجار الخلق والأمين وحسن معاملته لما يوفر لك ذلك من امن وأمان واستقرار في حياتك وبيتك مع أولادك، فالجار باق معك زمن حياتك كلها كما أن المثل يحذر من مجاورة الجار السيئ لما يترتب عنه من أذى ساخط وشر مستطير ينسف الاستقرار ويذهب

بالأمن وينذر بضر أليم مهدد للحياة والكيان والمثل بهذا الصيغة يصب في عين التربية الأمنية في الحياة. وفي سياق هذا المعنى يصلح للمقام المثل الشعبي القائل: (الرفيق قبل الطريق) حيث يصلح للأطفال والتلاميذ درسا في عين التربية الأمنية التي تقود إلى ثقافة دفع المفسدة وجلب المصلحة كما يتوسع إلى كل شرائح المجتمع، يتوسع إلى كل شرائح المجتمع، يتوسع إلى المجتمعات والدول والأمم في سياساتها الخارجية.

10- (إذا غابت السبوعة تستيع الضبوعة)¹⁶: وهو مثل يصب في عمق التربية الأمنية وأبعادها حيث يقال في الأراذل من الناس يعلون ويتحكمون في رقاب الناس بالظلم والتبجح والقهر والفساد والأذى ويقال في أمور الناس يتولاها من ليس أهلا لها وهم الأصاغر من الناس. والمثل يستعمل في الحياة الاجتماعية كما يستعمل في السياسة كما يوظف في الكسول وغير المبالي يعلو ذكره والدليل يعز وهو المثل العربي القائل: (ان البغاث بأرضنا يستنسر) كما يضرب للضعيف يصير قويا وإذا استسبعت الضبوعة غابت منهم الحكمة في الأخذ بمقاليد الأمور في شتى مجالات الحياة وإذا حصل وتحقق فانتظر الفتنة ذهب الأمن واختفى الاستقرار. والتربية الأمنية تصنع بيد الحكماء اما الفتنة والاستقرار فيصطنع بيد الأراذل اللؤماء.

11- (السبع يزهر والحمار ملاقيه)¹⁷: هذا مثل يقال فيمن يقدم على أخطار محققة في الوقت الذي كان يجب عليه أن يتقيها ويتعد عنها كل البعد لخطورتها ولما تحمله من أضرار كبيرة تمس من يقترب منها لا محالة كما يصاغ المثل للأطفال الذين يلعبون قرب مواقع الخطر والضرر والذين يخرجون للعب أثناء هبوب الرياح أو نزول المطر أو اشتداد الحر لأنهم بذلك يعرضون أنفسهم للضرر والخطر ويساق المثل أيضا في الرجل يدفعه الفضول إلى الذهاب إلى مكان المشادات والتشاجر والتراشق بالحجارة بين المتظاهرين والشرطة وغيرها من الأمثلة. فالحمار لغباوته يسمع زئير الأسد فلا يختفي بل يواصل سيره حتى ولو كان في الاتجاه الذي فيه الأسد. والمثل هذا يصب في عمق التربية الأمنية إذ يحث الأطفال والرجال والنساء بضرورة التحلي بالحس الأمني في الحياة ومن ذلك أن يكون كيسا حذرا فطنا في كل شيء وان يخلع رداء الغباوة وينزع ثوب البلاهة عنه انتزاعا وذلك بتجنبه مواضع الخطر أو أماكن الضرر. قال تعالى (وخذوا حذركم)⁽¹⁸⁾ وقال أيضا: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)¹⁹.

12- (عوم وعس حوايجك)²⁰ مثل جزائري شعبي يضرب في التحلي بالفطنة والكياسة في قضاء الأمور في الحياة ويقابل ذلك بمجانبة الغفلة وحماسة في تدبير الأمور وربما يكون مورد المثل إن إنسانا لغفلة سبح في بحيرة أو بحر تاركاً أغراضه على شاطئه وعلى حين غفلة سرقت واختفت فلما انتهى عاد إليها فلم يجد شيئاً وفي لحظة خسر كل شيء فجاءه احد الحكماء ناصحاً له بقوله (عوم وعس حوايجك) والمثل يصلح ان يضرب في عمق التربية الأمنية للإنسان طفلاً كان أو امرأة أو رجلاً ملفتاً إياهم إلى ضرورة مصاحبة الحذر والحيطه والنباهة في كل الأمور دونما غفلة أو لا مبالاة وهو مثل جار وحي بين الأطفال في المدرسة والرجال والنساء في مختلف الأمكنة وتجمعات الأفرح بل حتى في المساجد التي تشكو من سرقة الأحذية حتى صار يقال لكل من دخلها على حذائه عس حوايجك، وهكذا.. يصلح المثل في العديد من المواضيع سواء كانت مواضيع أفكار أو مواضيع أحجار وهكذا... خصوصاً ونحن في ظروف عامة غير مأمونة لذا صار مثلاً ضرورياً في حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات

13- (الخلطة بلطة والجرب يعدي)²¹ مثل شعبي جزائري يضرب في التحذير من المخالطة المفتوحة مع الناس، والناس معادن كما فيهم الحكيم وهم قلة ففيهم اللئيم وهم كثرة وربما يتوجه التحذير رأساً من مخالطة الأراذل من الناس وذلك ينتج من مخالطتهم السلب للمال والتعرية والتوقيع في مواطن الضرر والسلب في قيم الأخلاق فكم من تلميذ كان نجيباً خلوقاً مجتهداً ناجحاً غير أن مخالطته الأشرار قلبت حاله من خير إلى شر فضاع وضيع وكم من شاب أصاب ثم خيب وخاب وكم من صالح انحرف وكم من طاهرة تحولت إلى بائرة وكم من مسكين صار سكيناً وكم من مسؤول صار مغلول... وهكذا نسأل الله الثبات. كما ان المثل يستقي معناه وأبعاده من نصوص النبوة منها قوله صلى الله عليه وسلم (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل الطيب ونافح الكير)⁽²²⁾

لذا يحسن ان يلقن التلميذ في المدرسة والبيت قبله هذا الخلق وقاية له من الضر وفي نفس السياق والمعنى والحال والمال يساق مثل شعبي قريب منه هو: (خلط روحك مع النخالة ينتقوك الدجاج). والمثل هو لغاية مجانبة مخالطة الأراذل والمرضى والأشرار من أفراد المجتمع

14- (خلطها تصفا)²³ فهو مثل شعبي يحث على خلق الصراحة بالحق مهما كانت عواقبه ذلك إن كتمان الباطل قد يبقي المنازعات بين الأفراد في العائلة والمجتمع قائمة كالقنبلة قابلة للتفجر في أي وقت والكتمان للشر يقيه قائما ضارا مهلكا في المجتمع فكان من الحكمة التصريح بالحق وان نتج عنه ضرر ولا بد فحفيف وطفيف وسرعان ما تعود الأمور إلى نصابها ويصفى كل شيء ويضرب المثل أيضا في المريض الذي يصرح بمرضه وآلامه للطبيب حتى يخلصه منه وهكذا ولذلك قالوا: من كتم داءه قتله.

والمثل هذا هو من عين التربية الأمنية للأطفال والرجال والنساء في شتى السلوكات الاجتماعية كما يمكن توظيفه في المجتمعات التي تقهر شعوبها وتستبد في حكمها ولا تراعي حقوق الأفراد ولا الجماعات ولا القبائل بشتى ألوانها ومختلف أشكالها إذ السكوت على الحق في الأوضاع الظالمة يقيها على ذلك ويزيدنا ظلما. لذلك يصدق المثل على هذه الحال ثم يحصل بعدها العدل وتعود أمور المجتمع إلى طبيعتها وربما يحسن في هذا المقام صياغة المقولة الثابتة التالية: (موت على حق خير من حياة على باطل) والمثل العربي القائل: (المنية والالذنية).

15- (المومن بسلاحو)²⁴ هذا مثل شعبي جار كثيرا على ألسنة الناس وخطاباتهم ويضرب في حث الإنسان أي كان مقامه وسنه ووظيفته على وجوب اخذ الاحتياط والحذر والتسلح إن اضطر الحال إلى ذلك اضطرارا خصوصا في أزمنة الاحتجاجات والمواجهات العمياء التي تأتي على الأخضر واليابس ويستغلها السفهاء للفساد والإفساد. يذهب معنى المثل إلى إصابة عمق التربية الأمنية للطفل والتلميذ فتقول له: (المومن بسلاحو) وأنت تطلب منه اخذ ملزمات المحفظة والمئزر كلها وهو بتوجه إلى المدرسة وتقولها له حاثا إياه على مراجعة دروسه دوما قبل دخوله الامتحان.

وتقولها له إذا كان مريضا حاثا إياه على تناول دوائه باستمرار كما أوصاه الطبيب وتقولها له حاثا إياه على ارتداء معطفه ولبس قبعته في الظرف الممطر والبارد وقاية له من كل مكروه وتقولها له حاثا إياه على التزود بالطعام قبل الخروج إلى السفر الطويل الشاق وتقولها له حاثا إياه على الاجتهاد في طلب العلم والنجاح لان العلم سلاح المؤمن أي كان والمثل يبقى مفتوحا على جميع السلوكات التي تمثل الحيطة والأخذ بالأسباب عند جميع شرائح المجتمع.

16- (المومن ما يكون حقود)²⁵ وهو مثل يضرب لغاية الحث على نبذ الأحقاد والأذى بين الأفراد في المجتمع كما يدعو إلى خلق إصلاح ذات البين.. الذي من ورائه تحقيق الاستقرار وبسط الأمن بين أفراد الأسرة والمجتمع وهو يصب في وعاء التربية الأمنية لدى جميع شرائح المجتمع بدءا بالتلميذ -الطفل- في المدرسة إلى الشيخ الكبير في الحياة. وقد علمنا ما تثمره الأحقاد والكراهيات من ضرر في المجتمع وبين أفراده... فرما أوقدت الأحقاد نار الحرب بين الأشقاء ولربما قادت إلى التهلكة ولربما أوصلت إلى الموت.. وهكذا

17- (انا نحفر لو في قبر مو وهو هارب لي بالفاس)²⁶ وهذا مثل شعبي جار على ألسنة العامة من الناس وخاصتهم في المجتمع الجزائري يضرب في من تأتي لمساعدته فيعرق عملك وهو ما ينبئ على خير الأول وحماقة الثاني وشره. ومثل هذا السلوك قد

يشوش الطريق في تحقيق الأمن والتعاون والتآخي والتآزر والاستقرار بين الأفراد في المجتمع إذ من جاء إليك بالخير فاشكره وتعاون معه بإخلاص لإنجازه والمثل كما ينصح بفعل الخير لغيره ينصح بوجود استقبال الخير بالخير وينهى عن رد الحسنة بالسيئة لأنها ستكون طريقا إلى الجفاء والكراهية والقطيعة التي لا يستقر عليها وضع ولا يأمن لحلونها فرد ولا مجتمع ولا أمة وقد يكون من عين التربية الأمنية للتلميذ والطفل أن نغرس فيهما خلق المساعدة للغير مع خلق وجوب الخير بالخير واستقبال الحسنة بحسنة خير منها وهكذا لقوله تعالى : (و إذا حييتم بتحية فحيو بأحسن منها أو ردوها)⁽²⁷⁾ فبدلك الخلق يأمن الأفراد وتستقر مجتمعاتهم. وقد يساق في المعنى نفسه أو قريب منه المثل الشعبي القائل (انا باللقمة لغمو وهو بالمشهاب لعيني) وهو يضرب في المسيء إلى من يحسن إليه. والمثل هو في معنى ومقصد المثل العربي الفصيح القائل: (ياكل تمرى ويعصي امرى). (وياكل التمرة ويرجمني بالنوى) ويدخل في هذا السياق أيضا المثل الشعبي السائد: (ياكل في الغلة ويسب في الملة) وهكذا، وان كان هذا الأخير يتوجه رأسا إلى من يتدمرون ويلعنون البلد بخيراته التي ينعمون فيها على الدوام او يسبون وينكرون معروف البلد الذي علمهم ووظفهم وأمنهم في حياتهم ووفر لهم جميع حقوقهم. ويمكن صدها في ذات السياق ان نسردها مجموعة أمثال شعبية جزائرية يتوجه رأس مقصدها إلى غرس التربية الأمنية في المجتمع بالتصريح مرة وبالتلميح أخرى وهي كثيرة جدا لا يكفي

المقام لتحليلها فلربما يأتي ظرف موائم نجمعها للتحليل والاستنباط والاستعمال كمشروع فرقة بحث في علم الانتروبولوجيا إن شاء الله. وهذه بعض منها على التالي:

(إذا مات خوك ما تعز بن خوك)²⁸

(إذا كنت زين استرروحك ملعين، وإذا كنت شين استر روحك ملفضايح)²⁹

(بلرض ولدتك أمك)³⁰

(انا نقلك سيدي وانت فهم روحك)³¹

(الناس بالناس والناس بري)³²

- (اليتيم لك ربي)³³ في الشفقة والرحمة باليتيم عندما لا يجد نصيرا.. وفي الفقير لا يجد مساندا فهو يبحث على هذه الأخلاق الحسنة كالتحلي بالشفقة والرحمة بالآخرين والسند والتعاون بين أفراد المجتمع وهو بذلك يقود إلى إقرار الأمن بين أفراد المجتمع لا محالة.

- (ا نا مير وانت مير شكون يسوق الحمير)³⁴ هو مثل شعبي يقال فيمن ترفع عن القيام بعمل زاعما انه ليس في مستواه فعلى الآخرين القيام به فهذا ليس من الأخلاق التي تبعث على الارتياح والاستقرار بل ربما زعزت كيان الفرد في أمنه. فالمعنى الأساس يتوجه إلى وجوب العمل وقبول أي عمل مادام العمل شرف وكرامة الحياة كما أن رفض العمل والتعالي عليه مساس في العمق بخلق التربية الأمنية.

(بنت عمك ترفد همك)³⁵ يقال في تحييد الزواج بالقريبة والحث عليه لمن لم يجد لك، ذلك أن وراءه استقرار الأسرة وأمنها ودفع للمفسدة الأخلاقية وهو يسير في خط تعزيز التربية الأمنية لدى الأفراد في المجتمع لان الأصل في الزواج الأمن والصحة والاستقرار بكل معانيها وأبعادها.

(البنين يعرفوه الضروس)³⁶ مثل يضرب فيمن زعم انه أحسن إليك وأنت تعلم انه أساء إليك كما يقال في معاملة زائفة مغشوشة ومفضوحة. فهو يحذر منها وممن يتعامل بها دفعا لمفسدة وجلبا لاستقرار امن فهو يصب في عمق التربية الأمنية للأفراد والجماعات.

(البيوت يخلوها الزغاريت والا المساليت)³⁷ يضرب هذا المثل الجزائري في الرجل يلحقه الإفلاس لكثرة زواجه وطلاقه ويقال في ثروة أسرة أو مجتمع يبددها الأبناء الطالحون وهو مثل صالح

للمجتمعات التي يبدها أفرادها أموالها العامة لفسادهم. والمثل بهذا المعنى فيه تحذير من تبديد المال فيما لا فائدة ولا منفعة للفرد والأسرة والمجتمع وهذا يصب في عين التربية الأمنية في المجتمع.

- (بات كلب تصبح راجل) ³⁸ يقال في الحث على اليقظة وحراسة المال والعرض والنفس وفي ذلك تحقيق للتربية الأمنية في الفرد والأسرة والمجتمع.

- (اجبد ولا لوح الجلد) ³⁹ يقال في العائلة تكثر مطالبها بحيث لا يقدر رب العائلة عليها فتفتد العائلة استقرارها ويهتز أمنها وفي المثل حث رب العائلة على طلب المعقول من النفقة حتى يتحقق التوازن ويحكم الأمن والاستقرار.

- (جا يداويها عماها) ⁴⁰

- (جا يريح صيدوبورابح) ⁴¹ فيه الرجل يقع في ورطة لجشعه وطمعه فوقع فيما لا يحمده عقباه ففيه بذلك معنى من معاني التربية الأمنية.

- (جا يطيب اتحرق) ⁴²

- (جا يتعلم الحسانة في روس اليتامى) ⁴³ يقال فيمن يعث بأموال الضعفاء واليتامى ومن لا مدافع عنهم وهذا يقود حتما إلى اللامن ألالاستقرار فهو يصب في عين التربية الأمنية من جهة المال.

- (يجي في الكوزو ويقول لهم جوزو) ⁴⁴ يقال فيمن يدفع غيره للمخاطر بعد ان يحصن نفسه او من يستضعف الناس ولا يدفع شيئا من ماله.

والأمثال الشعبية الجزائرية في الموضوع أكثر من أن تحصى وقد اكتفينا بهذه النماذج متونا فحسب.

- (جا القط يوري لبنو النط).

- (الحب الاعمى).

- (حتا يزيد نسموه سعيد).

- (الحاج موسى موسى الحاج): يقال في تساوي الشئيين وبقاء الحال على حاله، ويقال أيضا عندما يعوض مسؤول قديم بمسؤول جديد من طينته وعجنته الفاسدة فهو يصب في عين التربية الأمنية بالمال.

- (حدث الفاهم تستراح).

- (احرز دينك يوم تختلط الاديان).
- (احصل يا لفاس في الراس خلي الخماس يشقى).
- (المحامية تغلب السبع).
- (الحنش ما يحفر غار ما يبات فيه).
- (الحاجة اللي تهملك وصي عليها راجل امك).
- (احيني اليوم واقتلني غدوة).
- (الحيا من الدين).
- (الخبر يجيوه التوالى).
- (اخدم يصوردي وحاسب البطال).
- (اخدم على روحك تعجب الناس).
- (اخدم يا الشاقي للباقي).
- (اخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبري).
- (خسر بقرة وبنتها).
- (اخسر وفارق).
- (خلي البير بغطاه).
- (خاين البيت مايتعس).
- (الخير امرا والشرا امرا).
- (يدخل بالطول ويخرج بالعرض).
- (يدخل منا ويخرج منا كالحوتة).
- (الدنيا بالوجوه والاخرة بالفعاليل).
- (الدار دار يونا الكلاب طردونا).
- (دير روحك مهول تشبع كسور).
- (الذيب خش السوق).

- (راس مال الرجل كلمتو).

- (نوري لك النجوم في القايلة الحامية).

- (ربع نسا والقربة يابسة).

- (الروح روح الله والعود عود البايك).

الخلاصة: هذا وان ما يستخلص من هذا العرض الوصفي التحليلي لهذه الباقية من النماذج في الأمثال الشعبية الجزائرية هو قليل من كثير، وهو أنه كما هي تكشف عن طبيعة المجتمع الجزائري في شخصيته وعقليته ونمط فكره ومستوى ذكائه. فإنها تكشف أيضا خصائصه التربوية، ومنها التربية الأمنية أساسا ورأسا، الأمر الذي يفيد مسالمة هذا الشعب الأبوي وتوقه إلى الحياة الآمنة المستقرة، وبغضه منطلق الحرب والعداء والظلم والاستعباد والقهر. وأنه ما شهر سلاحه إلا في وجه المستعمر الغاشم الذي استباح ماله وعرضه ودمه. كما أن مضمونها يردد الاستقرار ولا ازدهار ولا نماء ولا رقي لأمة أو حضارة إلا في رحاب تربية أمنية آمنة مؤمنة. ومن هنا يمكن رد الاعتبار لهذه المنظومة الذهبية في أدراجها ضمن مفردات منهاج التربية الوطنية لربط الأجيال بواقعهم وتجارب أسلافهم. وبالمناسبة يمكن إحصاء نسبة معتبرة من مدونة الأمثال الشعبية هي من معين الأمثال العربية الفصيحة كما أوردها الميداني في مجمع الأمثال، وفي هذا دلالات وعبر.

الهوامش:

- 1- معجم مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - ص 482 - دار الكاتب العربي
- 2- الأنفال 27 (القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، ط9، دار المعرفة، دمشق 1428هـ)
- 3- معجم مفردات القرآن الكريم - الراغب الأصفهاني ص 21.
- 4- البناء النظري لعلم الاجتماع - نيل محمد توفيق السمالوطي - ج1 - دارالكتب الجامعية مصر
- 5- علم الاجتماع العام، أسسه ومبادئه وموضوعاته - د صفوة الأخرس - ص 259 - مطابع مؤسسة الوحدة العربية - 1981.
- 6- أمثال جزائرية - جمع وشرح وتعليق - عبد الحميد بن هدوقة - ص 15 - ط 1992 -
- 7- المرجع نفسه ص 16
- 8- المرجع نفسه ص 21
- 9 - المرجع نفسه ص 22
- 10- المرجع نفسه ص 23
- 11- المرجع نفسه ص 28
- 12- المرجع نفسه ص 55

13- المرجع نفسه ص 28

14- التحريم 09.

15- المرجع نفسه ص 55

16- المرجع نفسه ص 35

17- المرجع نفسه ص 31

18- المرجع نفسه ص 36

19- المرجع نفسه ص 36

20- المرجع نفسه ص 36

21- المرجع نفسه ص 37

22- حديث شريف مرفوع إلى رسول الله (ص) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

23- المرجع نفسه ص 49

24- المرجع نفسه ص 49

25- المرجع نفسه ص 51

26- المرجع نفسه ص 54

27- سورة النساء 86.

28- المرجع نفسه ص 56

29- المرجع نفسه ص 56

30- المرجع نفسه ص 56

31- المرجع نفسه ص 56

32- المرجع نفسه ص 70

33- المرجع نفسه ص 56

34- المرجع نفسه ص 56

35- المرجع نفسه ص 49

36- المرجع نفسه ص 49

37- المرجع نفسه ص 49

38- المرجع نفسه ص 34

39- المرجع نفسه ص 34

40- المرجع نفسه ص 51

41- المرجع نفسه ص 51

42- المرجع نفسه ص 51

43- المرجع نفسه ص 51-52

44- المرجع نفسه - ص 52.